

العُرف في مجتمع الصحراء الغربية، دراسة إنثروبولوجية من خلال المونوغرافيا الإسبانية

Custom in the Western Sahara Community, An Anthropological Study, Through Spanish Monographs

د/ نورالدين حمادو

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية – جامعة أدرار

Nori.hmadou@univ-adrar.dz

تاريخ الإرسال: 2020/08/13 تاريخ القبول: 2022/02/08

الملخص:

يكتسي العرف مكانة هامة في الحياة الاجتماعية لقبائل البيضان، فسيرورة الحياة اليومية للمجتمعات الصحراوية، تتوقف على مدى احترام أفرادها للأحكام العرفية الجاري بها العمل داخل القبيلة، وكذا الجهة القائمة على تطبيق الأحكام العرفية داخل المجتمع، حيث نحاول من خلال هذا المقال التعرف على أبرز الأحكام العرفية لدى قبائل الصحراء الغربية، أصولها والمؤسسات القائمة على تطبيق العرف داخل القبيلة، وهذا من خلال كتاب "دراسات صحراوية" للعالم السوسولوجي الإسباني خوليو كارو باروخا، وكتاب "الأراضي الإسبانية بالصحراء ووحداتها المتنقلة" للضابط الإسباني مانويل موليرو كليمانتي.

الكلمات المفتاحية: الصحراء الغربية؛ الأحكام العرفية؛ القبائل؛ الجماعة؛ آيت اربعين.

Abstract:

Customs are considered to be a top class in the life of the Baidan tribes. Life according to Sahara people's is due to the continuity of the severe respect of traditional rules inside the community, where all the members must abide by these rules which are working out in the place. In addition to that, there are a portion of people who's job is to apply the rules of mores within the society. In this sense, the importance of these mores in the lifestyle of Sahara people have led different kinds of Spanish voyager writers and explorers and others to get knowledge about the initial rules of Western Sahara tribe mores, and its originality, plus the institutions that implement traditional Principles inside the community.

This is what we intend to illustrate in this essay, and through the book of "Desert Studies" written by Spanish sociologist Julio Carro Baruja, and other book called "Spanish lands in the Sahara and theirs Peripatetic units" written by security officer Mulero Clemente.

Key words: Western Sahara; Mores rules; tribe; community; Ait Arbaein.

مقدمة:

الأعراف في مفهومها العام هي مجموعة القيم والمبادئ المتفق عليها في مجتمع ما، وقد ظلت الأعراف بمثابة القوانين الرسمية التي تحكم المجتمعات القبلية في فترة غياب الدولة المدنية وحتى بعد

ظهورها، وعلى غرار جل القبائل البدوية، عرفت قبائل البيضان على اختلاف أصولها، تحكيم الأعراف في مختلف المنازعات الداخلية والخارجية، عن طريق سلطة الجماعة التي تشرف على تشريع وتنفيذ تلك الأحكام العرفية، الأمر الذي ساهم بشكل كبير في الحفاظ على تماسك كيان القبيلة الواحدة من جهة، وتجنب الصراع مع القبائل الأخرى من جهة ثانية، وقد سجلت لنا كتابات الرحالة والضباط الإسبان في الصحراء، جوانب هامة من الحياة الاجتماعية للقبائل الصحراوية، نحاول اعتماد مصدرين منها للتعرف على بعض النماذج من الأحكام العرفية لدى القبائل الصحراوية، ويتعلق الأمر بكتابات العالم السوسولوجي خوليو كارو باروخا، والضابط مانويل موليروا كليمانتي، أما الإشكالية التي نحاول الإجابة عنها من خلال هذا المقال مفادها:

فيما تتجسد قيمة العراف في الحياة الاجتماعية للمجتمع البيضاني؟ وتندرج تحتها إشكالات فرعية متمثلة في:

- ما هي أهم القبائل الصحراوية؟
- ما هي أهم الأحكام العرفية لدى قبائل الصحراء الغربية؟
- ماهي مصادر العرف لدى المجتمع الصحراوي؟
- ماهي السلطة القائمة على تشريع وتنفيذ الأحكام العرفية داخل القبيلة.

ونهدف من خلال هذا المقال معرفة مدى أهمية الأحكام العرفية لدى القبائل الصحراء، ودور هذه الأعراف في تنظيم المجتمع البيضاني البدوي.

التعريف بالصحراء الغربية

التسمية والموقع:

1- التسمية: يحمل مصطلح الصحراء الغربية أبعاداً ودلالات تتناسب طردياً والمتغيرات التاريخية التي عرفت المنطقة، إذ يطلق المصطلح على الأقاليم الواقعة في الناحية الغربية من الصحراء الكبرى حيث تضم اليوم إقليمين رئيسيين هما الساقية الحمراء ووادي الذهب، ولكن عرفت المنطقة أحداثاً تاريخية عديدة جعلتها جزء من المغرب الأقصى تارة ومن بلاد شنقيط أو موريتانيا تارة أخرى وأراضي مستقلة أحياناً أخرى، الأمر الذي جعل هناك اختلاف كبير في تسمية المنطقة محل الدراسة ولوضع المصطلحات في سياقها نحاول إيضاح بعض التسميات التي أطلقت على المنطقة المعروفة اليوم بالصحراء الغربية. فهناك من ضمها إلى شنقيط كما أسلفنا الذكر، حيث يرى حماه الله ولد السالم إن اسم شنقيط تم إطلاقه هذه على البلاد وسكانها في ظرفية يشرحها إجمالاً ضمن رسالة من تأليفه الفقيه الشنقيطي عبد الله بن إبراهيم العلوي (ت1233هـ-1814م) وعنوانها: صحيحة النقل في علوية إدوعل وبكرية محمد قل، والمكتوبة سنة 1790م وفيها يقول "وكان الركب يمشي من شنقيط إلى مكة كل عام ويحج معهم من أراد الحج من سائر الأفاق، حتى إن أهل هذه البلاد أعني: من الساقية الحمراء إلى السودان وأروان يعرفون عند المشاركة إلى الآن بالشناقطة"¹.

وفي المقابل فإن المغاربة اعتبروا المنطقة جزء من بلاد سوس والصحراء المغربية²، عكس البكري الذي رأى أن (وادي تارجا) الساقية الحمراء الواقعة شمال الصحراء الغربية هي بداية الصحراء الكبرى³. وقد سماها الإسبان بالصحراء الإسبانية تمهيداً لضمها لمناطق نفوذهم المتناثرة في أرجاء إفريقيا، رغم أن المنطقة جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي، وبالتالي فإن الأقاليم المعروفة حالياً بالصحراء الغربية

===== العُرف في مجتمع الصحراء الغربية، دراسة إنثروبولوجية من خلال المونوغرافيا الإسبانية

هي جزء من الصحراء الكبرى التي تعد الفاصل الجغرافي بين إفريقيا الشمالية أو ما يعرف بإفريقيا البيضاء والجزء الجنوبي من القارة الذي اصطلح عليه مسمى إفريقيا السوداء⁴.

إلى جانب تلك التسميات تعد الصحراء الغربية جزءاً من بلاد البيضان⁵ أو تراب البيضان، التي تمتد في مفهومها الواسع لتشمل أجزاء واسعة من الشمال الموريتاني والصحراء الغربية وأجزاء من الجزائر ومالي والنيجر⁶. كما تعتبر المنطقة أيضاً جزءاً من صحراء الملثمين⁷، التي ضمت من خلال مدلول التسمية المناطق الواقعة تحت سلطة ونفوذ الملثمين، وطبقاً لهذا المفهوم فإن حدود صحراء الملثمين كما يذكر الناني ولد الحسين نقلاً عن علي بن أبي زرع الفاسي تشمل معظم الصحراء الكبرى الممتد من بلاد البربر إلى بلاد السودان، فيما تشمل عرضياً معظم أقاليم غرب إفريقيا⁸، وعلى الأرجح أن اسم الصحراء الغربية أطلق على المنطقة نظراً لموقعها الجغرافي بالنسبة للصحراء الكبرى، وتمييزاً لها على الصحراء الشرقية والوسطى.

2- الموقع والأقاليم:

الموقع: تُصنف الصحراء الغربية ضمن أقاليم إفريقيا الغربية في شقها الشمالي، حيث تنحصر فلكياً بين دائرتي عرض 20.40 درجة - 27.30 درجة شمالاً، أي أنها تقع في المنطقة الصحراوية الواقعة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، بينما تنحصر بين خطي طول 8.45 درجة - 17.15 درجة غرباً بحيث تقع المنطقة كلياً في النصف الغربي من خط غرينيتش⁹. أما موقعها الجغرافي فيتنوع بين الحدود البرية والبحرية حيث يبلغ طول الشريط الساحلي المطل على المحيط الأطلسي حوالي 1125 كلم، أما حدودها البرية حوالي 2045 كلم منها ما يقارب 1570 كلم مع موريتانيا التي تحدها من الناحية الجنوبية والشرقية، وطول 415 كلم مع المغرب شمالاً، أما مع الجارة الشرقية الجزائر فيبلغ طول الشريط الحدودي حوالي 60 كلم¹⁰.

بناء على ذلك يكون للصحراء الغربية موقع ذا أهمية كبيرة تكمن في تلك الواجهة البحرية المقابلة لجزر الكناري والممتدة على مسافة 1125 كلم على الساحل الشرقي للأطلسي، الأمر الذي يساهم في تسهيل الملاحة والصيد البحري واستخراج الملح...، كما يساهم في تحسين ظروف المناخ فترات الجفاف والحرارة في فصل الصيف خصوصاً وأن المنطقة صحراوية¹¹، أما طول الحدود البرية الذي يربطها بثلاث دول عربية فيساهم بدوره في تسهيل التواصل العلمي والثقافي إلى جانب تنشيط الحركة التجارية كون الصحراء الغربية تشكل رابط وطريق حيوي واستراتيجي يربط المغرب الأقصى والصحراء الجزائرية بغرب إفريقيا مما يساهم أيضاً في إيجاد نوع من التلاقح الحضاري بين تلك المناطق.

الأقاليم:

الساقية الحمراء: يقع هذا الإقليم في الناحية الشمالية للصحراء الغربية يحده شمالاً إقليم طرفاية، أما الناحية الشرقية فنجد الجزائر وموريتانيا فيما يتشارك في حدوده الجنوبية مع وادي الذهب بينما يطل على المحيط الأطلسي من الناحية الغربية، وتبلغ مساحة الإقليم حوالي 82 ألف كيلومتر مربع¹²، وتبقى مدينة العيون التي تأسست سنة 1937م أكبر مدن الإقليم والعاصمة السياسية للصحراء الغربية، كما يضم أيضاً مدينة السمارة ذات البعد الروحي للصحراويين¹³.

وادي الذهب: يقع هذا الإقليم في الناحية الجنوبية للصحراء الغربية، يحده من الناحية الجنوبية والشرقية موريتانيا، أما غرباً فنجد المحيط الأطلسي وفي الشمال له حدود مع الساقية الحمراء، ويشمل

الإقليم المنطقة الممتدة من جنوب الساقية الحمراء بداية برأس بوجادور حتى رأس بلانكو، وتبلغ مساحته حوالي 184 ألف كيلو متر مربع، وعاصمة الإقليم مدينة الداخلة¹⁴.

أهم القبائل: عرفت الصحراء الغربية التعمير منذ العصور القديمة، وبحكم موقعها الجغرافي فقد شهدت توافدت على المنطقة أعراق بشرية عديدة، على غرار الزنوج الذين كان لهم السبق بالمنطقة والبربر والعرب بعد الفتح الإسلامي، ومن الطبيعي أن تكون أغلب قبائل الصحراء اليوم تنتمي إلى أصول بربرية أو عربية مع تأثير زنجي نتيجة الإتصال والتواصل بين العرب والبربر والسود في إفريقيا جنوب الصحراء، إلا أن الطابع البدوي القائم على الترحال يجعل ضبط التوزيع السكاني والجغرافي بالإضافة إلى تعداد سكان الصحراء أمر صعب، وكمحاوله منا للتعرف على ما كتبه الأعلام الإسبانية حول القبائل الصحراوية، أصولها ومناطق نجعها، اعتمدنا كتابات الضابط الإسباني في الصحراء الغربية مانويل موليرو كليمانتي "Clemente Manuel Mulero"، ومما أورد حول ذلك نذكر:

أهل الشيخ ماء العينين: ينحدرون من نسل الشيخ محمد مصطفى المعروف بـ "ماء العينين" والده محمد فاضل بن مامين القلبي الشنقيطي قائد أهل الطالب المختار في بلاد شنقيط، وقد ولد الشيخ محمد مصطفى في منطقة الحوض الشرقي الموريتاني حوالي 1831م، وقد أطلقت عليه والدته اسم "ماء العينين" تعبيراً عن حبها الشديد له¹⁵.

نشأ الشيخ ماء العينين وتلقى تعليمه على يد والده الشيخ محمد فاضل بمسقط رأسه في منطقة الحوض، قبل أن يغادرها مطلع 1850م متجهاً إلى الحج، وقد مضى سنة كاملة في رحلته الحجازية زار خلالها إلى جانب الحرمين الشريفين المغرب والشام ومصر، بعد عودته من رحلة الحج مكث فترة في تجكانت بتندوف أين احتك بعلمائها وتزوج منهم امرأتين، كما أسس هناك مكتبة كبيرة عن طريق الإهداء والشراء¹⁶، وبعد مدة انتقل إلى أدرار ليعود بعدها ويستقر لأول مرة في الساقية الحمراء سنة 1873م، ويؤسس أول زاوية له في منطقة "أكريزيم" على ضفاف وادي الساقية الحمراء، بعدما ذاع صيته وكثر مريدوه أسس زاوية السمارة على ضفاف وادي سلوان حوالي 1898م، وقد قاد حركة الجهاد ضد الاستعمارين الفرنسي والإسباني في الصحراء الغربية وشنقيط، قبل أن يتوفى في مدينة تيزنيت سنة 1910م، وقد خلف مجموعة من الأولاد يشكلون بطون آل ماء العينين في المغرب والصحراء وموريتانيا¹⁷.

أولاد تيدرارين: تنتسب هذه القبيلة إلى العالم الجليل سيد أحمد بوعمبور الأنصاري نسباً، حيث عرف هذا الرجل بصلاحه وكراماته وسعة علمه، قدم إلى الصحراء الغربية من مصر حوالي القرن الخامس عشر الميلادي، وتزوج بامرأة من أهالي الصحراء لم نعثر على أصلها، وقد أنجبت له أولاداً عدة أشهر من بينهم الطالب علي وموسى، ويرى أحفاد موسى والطالب علي أنهم أصحاب النسب الصحيح المنحدر مباشرة من الجد أحمد بوعمبور، أما باقي مجموعات القبيلة فهم من نسل أبو دجاجة الأنصاري¹⁸.

وتعد قبيلة أولاد تيدرارين من القبائل المسالمة التي استوطنت الساحل حيث اشتهر أفرادها بممارسة الرعي بمنطقة "الحسيان" رأس بوجادور أين تنتشر الأحساء على غرار أنويظ، أوفيست، أنوتي، سركاو، حيمر ما...، الصالحة لسقي المواشي كما عرف عن أفراد هذه القبيلة ممارستهم للنشاط الزراعي¹⁹.

العروسيين: يعود أصل القبيلة إلى مؤسسها سيد أحمد العروسي، وحسب رواية كليمانتي أن والد هذا الأخير كان ولياً صالحاً قدم المغرب هارباً من الحروب ضد المسيحيين في تونس، وتزوج في مراكش وبعد ولادة سيد أحمد العروسي جيء به إلى الصحراء عبر السماء، وبعد أن تمزق حزامه الذي حمل به أحد صالحى مراكش سقط في الصحراء بمنطقة تسمى الرياض²⁰، وقد تزوج بالصحراء وخلف بعد وفاته ثلاثة

ذکور هم سيدي بومهدي وسيدي بومدين وسيدي إبراهيم، وعن وظائفهم الاجتماعية فينتمي العروسيين إلى القبائل التي جمعت بين القلم والسلاح إلى جانب النشاط الزراعي والرعي نواحي إيمريكلي بواد الذهب²¹.
الركيبات أو الرقيبات: حيث ينتسبون إلى سيد أحمد الركيبي المنحدر من قطب جبالة مولاي عبد السلام بن مشيش، وينقسم الركيبات إلى: اركيبات الشرق التي تضم أفخاذ أهل ابراهيم وداوود، والبيهات والفقر...، أما اركيبات الساحل الأكثر عدد فتضم أفخاذ السواعد، وأولاد الطالب، الى جانب أولاد موسى والمودنين...، حيث يقع الجزء الشرقي منهم ضمن نطاق النفوذ الفرنسي، أما الجزء الغربي فيقع ضمن نطاق النفوذ الإسباني، وعن وظائف الرقيبات في الجانب الاجتماعي فقد كانوا في أول الأمر من قبائل الزوايا قبل أن يصبحوا من القبائل المحاربة، كما يمارسون النشاط الرعي نواحي زمور باستثناء أفخاذ السواعد الذين يظعنون بواد الذهب²². وبناء على الإحصاءات التي أوردها بول مارتي "Paul Marty" فقد بلغ عدد خيم الرقيبات حوالي 4100 خيمة²³.

أولاد بالسباع: يعود أصل تسمية القبيلة إلى رواية تناقلتها كتب التاريخ والسير مفادها أن الجد الأول للقبيلة الشريف سيد عامر الهامل حفيد مولاي إدريس كانت له غنما يرعى بها في جبال شتوكة بالأطلس الصغير، وأراد بعض الأعراب الاستيلاء عليها رغما عنه فتحوطت تلك الغنم إلى أسود وعلى إثر ذلك الحدث أطلق عليه عامر بوسبع، هذا الأخير خلف ثلاثة ذكور هم بطون أولاد أبي السباع حاليا، ويتعلق الأمر ب: أعرم وعمران والنومر، وقد وصل أفراد هذه القبيلة إلى الصحراء عبر جبال الأطلسي، وذلك بعد ثورتهم على السلطان مولاي إسماعيل أوائل القرن الثامن عشر، وقد اشتهر أولاد بالسباع بالحرابة حيث دخلوا في حروب عديدة ضد قبائل الصحراء، إلا أن الفترة الأخيرة من تاريخ إقامتهم بالصحراء امتهنوا التجارة والرعي وقد استقروا بشكل رسمي بوادي الذهب بعد مهادنتهم للإسبان سنة 1917²⁴.

أولاد دليم: حسب أغلب الروايات أن أصل القبيلة يعود إلى "مقفر" زعيم بني حسان ذات الأصول العربية، وقد عرف أولاد دليم بحروبهم ضد القبائل المترحلة شمال الساقية الحمراء، إلى جانب مواجهاتهم مع المحاربين الكناريين الذين يترددون في السواحل الصحراوية شمال رأس بوجادور وقد إنتشروا بكثرة في إقليم وادي الذهب²⁵، كما إمتهن أولاد دليم إلى جانب الحرابة الصيد البحري والرعي، وتقرعت منهم قبائل عدة على غرار الشناكلة، سلام، أهل ابنيجارة المناصير...²⁶، وقد قدر مارتي عدد خيمهم حوالي 560 خيمة²⁷.

الزركيين: في أصل القبيلة تشتهر روايتين أوردهما كليمانتي على السياق التالي:
الرواية الأولى مفادها أن القبيلة تنتسب إلى الشيخ سعيد الزركي من قبائل تكنة، وإليه ينتسب فرع لحسن وبلة وهما أخوين اختلفا حول تقسيم واحة نخيل عند قبيلة أزوافيط التكنية، فكان الخلاف سببا في إنقسام القبيلة إلى فرعين أحدهما في التراب الإسباني والأخرى في التراب الفرنسي²⁸.
أما الرواية الثانية حول أصل الزركيين فيرى أصحابها أن الشيخ سعيد الزركي هو مؤسس فرع من القبيلة، وهو فرع أهل أحمد لعلي من فخذة أشتوكة، ويقول أصحاب هذا الرأي أن الزركيين ينتسبون إلى جعفر بن أبي طالب، وقد امتهن أفراد هذه القبيلة حرف الرعي حيث كانت مناطق ظعنهم من وادي درعة إلى جنوب غرب العيون²⁹.

يكوت: تنتسب القبيلة إلى رجل يدعى يكوت حيث كان من المقربين للسلطان مولاي إسماعيل العلوي، وقد عرفت قبيلة يكوت بالرعي في مناطق هضاب الكعدة ولحميديات ومرتفعات زيني وأيدار³⁰.

توبالت: ينتسب أفراد هذه القبيلة الى سيدي جامع حفيد سيدي أوسيدي أحد متصوفة تارودانت بالجنوب المغربي، وقد امتهنت قبيلة توبالت الرعي وكانت منتجعاتهم نواحي أخنيفيس³¹.

لفيكات: هي قبيلة صنهاجية تنتسب إلى موسى بن افيقة، هذه الأخيرة هي امرأة كانت مع جماعة أوسعيد الزركي، لكن نزلت عند أحد خيام توبالت وأنجبت موسى الذي تنتسب إليه بطون القبيلة، وقد تزوج موسى امرأة من مجاط الأمر الذي سيجعل الروابط قوية بين لفيكات ومجاط، وقد اشتغل لفيكات بالصيد البحري في سواحل واد أشبيكة وكابو خوبي إلى حدود مصب واد الساقية الحمراء³².

لميار: تنتسب هذه القبيلة إلى رجل يدعى الفقير المير، ويعود في أصله إلى عشيرة أولاد بن منصور من قبائل آيت المسعود، ويعتبر المير هذا أول من قدم منهم إلى الصحراء الغربية، ولميار من بين القبائل القليلة العدد إذ تتراوح أعداد خيمهم ما بين (30، 40) خيمة، حيث اشتغلوا الرعي ومناطق ظعنهم نواحي الذروة شرق أخنيفيس³³.

مجاط: تنتمي عشائر القبيلة إلى بطن الجد الأول الكرن الذي قدم إلى الصحراء من منطقة مجاط الواقعة جنوب جبال اكردوس، وقد مارس أفراد القبيلة الصيد البحري ما بين سواحل أشبيكة شمالا والطرفاية جنوبا³⁴.

فيلالة: تنتسب القبيلة إلى مؤسسها سيدي بوبكر الفيلاي من شرفاء تافيلالت، اشتهرت القبيلة بالعلم والصلاح وقد استقروا نواحي الكعدة وبئر الحكونية³⁵.

أهل باريك الله: هي قبيلة اشتهرت بالدين والصلاح والعلم سكنوا نواحي بئر إنزران وواد الذهب³⁶. بالإضافة إلى القبائل هناك فئة الرقيق أو العبيد الذين يعيشون مع مختلف القبائل الصحراوية، حيث توكل إليهم الأعمال الشاقة، كما عرف المجتمع الصحراوي تواجد جماعة المعلمين³⁷ الذين يشتغلون بالحرف التقليدية.

نماذج من أعراف وقوانين القبائل الصحراوية:

نحاول في هذا الجزء من المقال التعرف على نماذج من أعراف ثلاث قبائل صحراوية، ويتعلق الأمر بقبائل آيت لحسن وإزركيين وقبائل الرقيبات، وبناءً على ما أورد باروخا "Baruja"، فإن القبائل الصحراوية سنت أحكام عرفية خاصة بالعقوبات المترتبة عن حق الدم والسرقة، بالإضافة إلى مختلف الأحكام خاصة بتنظيم العلاقات بين أفراد القبيلة الواحدة، ومختلف القبائل الصحراوية المجاورة.

قبائل آيت لحسن

- يتم رد الدين المترتب عن حق الدم أو الدية بالمصالحة، وذلك وفقا للأعراف الجاري بها العمل.
- يعاقب كل فرد من القبيلة اعتدى جسديا على آخر بتقديم ذبيحة وخمسة وعشرين ريالاً حسنياً، أما من تسبب في الجرح بواسطة سلاح أبيض فيعاقب بتعريكية³⁸ وخمسين ريالاً حسنياً، أما بخصوص الجرح الناتج على طلبة باستعمال سلاح ناري، فإن الفرد يعاقب بتعريكية ومائة ريال حسني، وفي حال ما لم تحدث الطلقة أي عواقب فيكتفي الفرد بتقديم ذبيحة فقط³⁹.
- بالنسبة للحدود المتعلقة بالسرقة فقد حددت أعراف آيت لحسن عقوبة كل فرد اقتحم خيمة غيره بمائة ريال حسني، وفي حال السرقة فإن العقوبة تكون تقديم ذبيحة مع إرجاع المادة المسروقة، وبخصوص سرقة الأمانة من خيمة أو بيت من أوتمن عليها فإن هذا الأخير يجب عليه أداء اليمين بعدم مشاركته في السرقة، مع الإتيان بخمسين شاهداً من أفراد العائلة، وفي حال رفض الفرد المعني أداء اليمين أو تعذر عليه جمع الخمسين شخصاً، يجب عليه دفع قيمة المادة المسروقة.

===== العُرف في مجتمع الصحراء الغربية، دراسة إنثروبولوجية من خلال المونوغرافيا الإسبانية

- كل مُتهم بسرقة محل تجاري عليه أداء اليمين بعدم القيام بذلك، مع شهادة خمس وعشرين (25) شخص من العائلة، وإن رفض اليمين أو فشل في جمع الشهود وجب عليه دفع قيمة المادة المسروقة، وإذا تعلق الأمر بسرقة ماشية وجب على المالك أداء اليمين مع تزكيته بخمس وعشرين شهادة، أما سرقة الحبوب على أنواعها فيترتب عنها نفس عقوبة سرقة الخيام.
- أما الأعراف التي تنظم العلاقات بين آيت لحسن وباقي القبائل الصحراوية فقد حددتها إتفاقيات بين القبيلتين، فمثلا عند حدوث نزاع بين آيت لحسن وإزركيين فيتم الحسم في الأمر بالاستماع إلى شهادة عشرة أشخاص من كل قبيلة، أما إذا كان الخلاف بين قبيلة آيت لحسن من جهة وقبائل أولاد تيدرارين والعروسيين والرقيبات من جهة أخرى، فتحل المسألة بعشرة شهود من آيت لحسن وخمس شهود من باقي القبائل، وفي حال الإتفاق بين فرد من أولاد تيدرارين أو الرقيبات أو العروسيين مع فرد من آيت لحسن حول ذبيحة، يكون عدد الشهود متساويا بين الطرفين⁴⁰.

قبيلة إزركيين

- بالنسبة لحد القتل يحدد وفق ما هو معمول به في العرف، باستثناء بعض التغيرات حسب كل حالة، فمثلا في القتل العمد يضبط الجاني ويقيد من قدميه ويديه وينقل بحضور أعيان القبيلة إلى "الجماعة"⁴¹ التي تحسم في أمره علانا أمام عائلة المقتول بين الدية أو القصاص، مع مصادرة أملاكه من طرف "الجماعة"، أما إذا كان القتل غير متعمد فيتوجب على الفرع الذي ينتمي إليه القاتل دفع الدية لعائلة المقتول⁴².
- أما ما تعلق بالسرقة فقد حدد العرف حدها بدفع السارق أربعة أضعاف المادة المسروقة، فمثلا في حال سرقة جمل على السارق المضبوط دفع أربعة رؤوس من الجمال بدل واحدة.
- وفيما تعلق بالاعتداءات الجسدية فقد حدد العرف عقوبة الضرب المبرح على الوجه بتقديم ذبيحة وقطعتين من القماش، أما في حالة التهديد بالسلاح الأبيض فيتم العقاب بدفع قطعة واحدة من القماش، فيما يعاقب الجارح بالسلاح الأبيض بعقوبة تقديم تعريكية ومبلغ ما بين أربعين ومائة ريالاً حسب إتفاق الطرفين، وفي حالة البتر فيتم القصاص بما جرت به العادة في العرف⁴³.
- أما بالنسبة لأعراف القبيلة بخصوص التهديد بتوجيه السلاح الناري في وضعية إطلاق النار، فحددت عقوبتها بدفع قطعة قماش واحدة، وإذا تم إطلاق النار ولم يحدث ضرر فيكون العقاب ذبيحة واحدة. في حالة إقتحام خيمة الغير يعاقب الفاعل بدفع تعريكية، وفي حال اغتصاب القاصرة يعاقب الجاني بدفع حق المرأة. وكل النزاعات المتعلقة بالنساء يُحتكم فيها لخمس شهود.
- أما بالنسبة للأعراف المتعلقة بمنازعات البيع والشراء، أو سرقة رؤوس ما عر فيتم الاحتكام لخمس شهود، أما في سرقة قطيع إبل فيرتفع عدد الشهود إلى عشرة شهود، وإذا أتهم أحد بسرقة الحبوب من مخازنها، فعليه إحضار خمسين شاهداً مؤتمناً، وفي حال فشل في ذلك وجب عليه دفع قيمة الحبوب المسروق نقداً.
- أما الأعراف المتبعة في حل النزاعات بين قبيلة إزركيين وأي قبيلة من قبائل الزوايا، فيُحتكم فيها الطرفين إلى عشرة شهود من قبيلة إزركيين، وخمس شهود من القبيلة الأخرى⁴⁴.

قبائل الرقيبات:

- حسب أعراف قبائل الرقيبات فإن تسوية الدين المترتب عن القتل يتم وفقاً للأعراف المتفق عليها، أما بالنسبة للقتل العمد فجزاء القاتل في ذلك أن يكبل ويتم إحضاره أمام الملاء وأعيان القبيلة في ساحة عامة بحضور "جماعة" وعائلة المقتول التي تحدد جزاء القاتل بين القصاص والدية، وفي بعض الأحيان يتم

- الرفع من قيمة الدية إلى غاية إرضاء عائلة المقتول. وفي حالة ما إذا كان القاتل غير متعمدا فإن الفرع الذي ينتمي إليه الجاني يدفع الدية لعائلة المقتول، وإن قتل شخص أحد أعيان القبيلة، فإن القاتل يُفصل عن القبيلة حتى يتم التوصل إلى حل قد يفوق قيمة الدية.
- كل فرد قام بلمس زوجة غيره بقصد يترتب عليه دفع حق الزوجة، وإذا دخل شخص عليه دية خيمة آخر، فإن أعراف الرقيبات تخير صاحب الخيمة بين دفع دين المدان أو طرده من خيمته⁴⁵.
- يعاقب كل من قام بضرب آخر على وجهه بدفع تعريكية، وكل من هدد بالسلاح الأبيض يدفع قطعة قماش واحدة. أما الجروح فتحدد عقوبتها بالجوء إلى العرف.
- وكل من عارض أعراف القبيلة يتم إضرام النار في خيمته، أما المرافع عن شخص أدانه "آيت اربعين"⁴⁶، فيتم تغريمه بدفع قطعة واحدة من القماش، كما يتوجب على الكل الالتزام بجميع القرارات التي تصدرها الجماعة دون مناقشة.
- في حال انعدام الأمن وجب الالتزام بقرارات "آيت اربعين"، وفي حالة الحرب يحق لكل شخص من القبيلة التسلح بالعتاد والذخيرة والمطية وحاجياتها أينما وجدت، دون أخذ إذن من صاحبها، على أن يتم إرجاعها بعد المعركة ولا يجبر المحارب على دفع قيمتها في حال ضياعها أو ضياع جزء منها، كون الأخذ كان في مهمة الدفاع عن القبيلة.
- يحق لكل شخص وصل قبل غيره إلى أرض صالحة للفلاحة، الأولوية في اختيار النصيب الأوفر من تلك الأرض⁴⁷.

مصادر الأحكام العرفية ومؤسسات تطبيقها في المجتمع الصحراوي

مصادر الأحكام العرفية: بالنسبة لمرجعية الأحكام العرفية لدى القبائل الصحراوية نجد هناك اختلاف طفيف بين أصول أعراف قبائل الزوايا والقبائل المحاربة وبقية القبائل الأخرى، فالأحكام العرفية التي تحكم قبائل الزوايا نجد أغلبها مستمد من الكتاب والسنة كونهم أكثر تأثرا بالقرآن من غيرهم، بل إن البعض من قبائل الزوايا على غرار أهل ماء العينين يحكمون الشرع في كل الأمور التي ورد فيها النص، أما أعراف القبائل المحاربة فغالبا ما تستمد من الأحكام المتوارث والعادات والتقاليد القديمة، حيث يرى كليمانتي أن الأعراف الخاصة بالمجتمع الصحراوي مستمدة من القرآن الكتاب الذي يحتوي على جميع القوانين ممزوجة بما هو ديني، غير أن الشائع بالنسبة للقبائل الصحراوية اعتمادها أكثر القوانين المتوارثة الأحكام المروية والمكتوبة⁴⁸، وقد اختلف الفقهاء حول مشروعية الأحكام العرفية من عدمها، حيث اعتبرها البعض بدعة، ووصل ببعض الفقهاء إلى القول بأن الإيمان والعمل بها يعتبر كفرا، والقائلين بهذه الآراء أغلبهم من فقهاء المدن كمراكش وفاس⁴⁹، ومن الطبيعي أن لا تخرج فتاويهم عن طاعة المخزن الذي كان يرى في بلاد السببية مناطق مارقة عن الدين لخروجها عن السلطان، غير أن البعض الآخر من فقهاء البادية والصحراء أقروا بجوازها كون أحكامها لا تتعارض مع الشرع.

مجلس الجماعة: يرى كليمانتي أن مجلس الجماعة هو سلطة تشريعية وتنفيذية وقضائية داخل القبيلة الواحدة، حيث يتم اختيار أعضائها من بين أعيان الأفخاذ وذوي المكانة الخاصة في القبيلة⁵⁰ وبشروط فيهم الذكورة والشجاعة والقدرة على حمل السلاح، وتضم الجماعة رجل فقيه مهمته توثيق الأحكام العرفية وإعطائها الصبغة الدينية، حتى ولو كان بعض تلك الأحكام غير مطابق للشرع، وبذلك تكتسب الجماعة صبغة دينية شرعية إلى جانب الصبغة السياسية والاجتماعية، وعن دورها في المجتمع الصحراوي يرى الباحث بوبريك رحال نقلا عن علماء بيضانين، أن مجلس الجماعة يمثل في البلاد السائبة مقام السلطان

العُرف في مجتمع الصحراء الغربية، دراسة إنثروبولوجية من خلال المونوغرافيا الإسبانية

في البلاد المخزنية⁵¹، والقرارات الصادرة عن الجماعة غير قابلة للنقاش، وحسب أعراف بعض القبائل قد تصل عقوبة مخالفة قرارات الجماعة الى حد حرق الخيمة عن آخرها⁵².

آيت اربعين: يطلق عليه أيضا "إنفلاسن"، "الدعامة أو الركيزة"، وهو عبارة عن مجلس تنفيذي مؤقت يضم مجموعة من الأعيان تتوفر فيهم مجموعة من الشروط على غرار الشجاعة...، وأعضاء آيت اربعين يتم اقتراحهم من قبل جماعة كل قبيلة أو فخذ وقد يكون في بعض القبائل على غرار الرقيبات مجلس الجماعة هو نفسه آيت اربعين، ولم تورد الكتابات التاريخية أسباب تسمية هذا المجلس بآيت اربعين كما أن العضوية في هذا المجلس غير دائمة، وإنما تكون مؤقتة تنتهي بمجرد حل المشكلة التي اجتمع من أجلها المجلس⁵³.

يترأس آيت اربعين المقدم هذا الأخير يتم إختياره بناء على مؤهلات وبدوره يختار أفرادا من آيت اربعين يساعده في اتخاذ قرارات المجلس⁵⁴، وهذا المجلس لا يبيت في القضايا الداخلية التي تكون من اختصاص الجماعة، وإنما تكون اجتماعاته في حال ما إذا تعرضت القبيلة لعدوان خارجي أو في مناسبات هطول الأمطار وما ينجم عنها من خلافات حول توزيع الأراضي الخصبة. أما عن عدد أعضاء آيت اربعين فيختلف من قبيلة إلى أخرى ولا يشترط أن يكون عدد أعضائه أربعين عضو⁵⁵.

خاتمة:

في ختام هذا المقال نستنتج ما يلي:

لقد شكلت الكتابات الإسبانية حول الصحراء الأطلسية الدعامة الأساسية للحكومة الإسبانية في عملية احتلال تراب البيطان، وذلك لتسليطها الأضواء على جوانب هامة من الحياة الاجتماعية للقبائل الصحراوية، ولم تتوقف تلك الكتابات بمجرد احتلال المنطقة بل تواصلت كتاباتهم حول المجال الصحراوي، وندتمس من خلال كتابات الضابط الإسباني مانويل موليرو كليمانتي، والعالم السوسولوجي خوليو كارو باروخا، مدى اهتمام هؤلاء الكتاب بالجانب الإنثروبولوجي والسوسولوجي لسكان الصحراء، ومعرفة أدق التفاصيل الخاصة بهذه الجوانب التي من شأنها تسهيل عمل الإدارة الإسبانية في الصحراء.

تختلف مصادر العرف في المجتمع الصحراوي بين أعراف مصدرها الشرع، وأخرى مصدرها العادات والتقاليد المتوارثة، فمثلا قبائل الزوايا نجد أكثر أحكام العرف فيها مصدرها الشرع، عكس القبائل المحاربة، لكن يكاد يكون إجماع بين القبائل حول إحترام التشريع الإسلامي، ونستشف ذلك من خلال بعض الأحكام العرفية لدى عينة من القبائل فمثلا، الأعراف المتبعة في حل النزاعات بين قبيلة إزركيين وأي قبيلة من قبائل الزوايا، فيحتكم فيها الطرفين إلى عشرة شهود من قبيلة إزركيين، وخمسة شهود من القبيلة التي تكون من الزوايا، وفي ذلك إشارة إلى الأهمية التي يحظى بها قبائل الزوايا في المجتمع الصحراوي.

تختلف الأحكام العرفية بين القبائل الصحراوية بين التشديد والتخفيف في العقوبات، فمثلا عقوبة السرقة تصل عند قبائل إزركيين والرقيبات إلى حد دفع أربعة أضعاف المادة المسروقة بينما آيت لحسن فنكتفي بتقديم ذبيحة إضافة إلى إرجاع المادة المسروقة، وهناك إجماع بين القبائل حول عقاب مجرد التهديد باستعمال السلاح الأبيض، بينما تعاقب إزركيين على استعماله بتعريكية ومبلغ مالي، أما جريمة القتل العمد فتحدد عقوبتها عائلة المقتول بين القصاص لدم المقتول، والدية التي يتوجب على الفرع الذي ينتمي إليه الجاني دفعها، وذلك عقابا للفرع الذي ينتمي إليه، وبغية الحد من انتشار هذه الجريمة بين أفراد القبيلة الواحدة.

المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع باللغة العربية:

- 1- أبو العباس احمد بن خالد الناصري (ت1897م): الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج3.
- 2- أبو عبيد الله البكري (ت1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857م.
- اتحاد الجمعيات الفلسفية العربية: دور موريتانيا في التواصل الفكري المشرقى - المغربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002م.
- 3- اركيبي صلاح الدين: فئة لمعلمين في المجتمع القبلي البيضاني، عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد 19، المجلد 05، 2017.
- 4- حسن سيد سليمان: أبعاد قضية الصحراء الغربية، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، العدد13، يونيو1995م.
- 5- خوليو كارو باروخا: دراسات صحراوية، تر: أحمد صابر، منشورات الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، المغرب، 2019م.
- 6- رحال بوبريك: دراسات صحراوية، دار أبي رقرق، الرباط، ط2، 2008م.
- 7- شقلية أحمد رمضان وجلال شوقي: الصحراء الغربية دراسة جغرافية، مجلة الدارة، دار الملك عبد العزيز، السعودية، العدد 04، 1402هـ.
- 8- عمرو محمد: تطور نزاع الصحراء الغربية من الانسحاب الإسباني إلى مخطط بيكر الثاني 1975/2005، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور بوقارة حسين، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2006م.
- 9- محمد سالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحي: جوامع المهمات في أمور الرقيبات، تح مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1992م.
- 10- محمّدو ولد محمّدن أمين: المجتمع البيطاني في القرن ال19 قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بجامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، 2001م.
- 11- الوزان الحسن (ت1554م): وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط-بيروت، 1983، ج2.
- 12- ولد الحسين الناني: صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 8هـ/م الى نهاية القرن 11هـ/م، تق محمد حجي.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- 1- Manuel Mulero Clemente: Los Territorios españoles del Sahara y sus grupos Nomadas, El siglo, Las Palmas, 1945.
- 2- Notes et Etudes Documentaires, Le Sahara Occidental Espagnol, Paris, 1950.
- 3- Paul Marty: les Tribus de la Haute Mauritanie, Paris, 1915.
- 4- Pierre Bonte: La Politique coloniale Française et les Ahl Shaykh Ma al-cAynin. Jihad et résistances tribales, archivos, número 11, julio- diciembre 2011.

- 1- اتحاد الجمعيات الفلسفية العربية: دور موريتانيا في التواصل الفكري المشرقي - المغربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002م، ص 10.
- 2- احمد أبو العباس بن خالد الناصري (ت1897م): الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج3، ص58.
- 3- أبو عبيد الله البكري (ت1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857، ص163.
- 4- حسن سيد سليمان: أبعاد قضية الصحراء الغربية، دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، العدد 13، يونيو 1995، ص50.
- 5- البيضان: أطلق مصطلح البيضان على الجزء الغربي من الصحراء الإفريقية الكبرى، ويعد الرحالين العرب في القرون الوسطى أول من أطلق التسمية على سكان المنطقة وذلك للتمييز بين هؤلاء السكان ذوي البشرة السمراء القريبة إلى البياض، عن بقية سكان المنطقة ذوي البشرة السوداء. انظر: محمدو ولد محمذن أمين: المجتمع البيضان في القرن 19 قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بجامعة محمد الخامس، الدار البيضاء، 2001، ص4.
- 6- نفسه: ص 06.
- 7- الملتمين: تسمية أطلقها مؤلفو كتب المسالك والممالك والمؤرخون العرب في القرون الوسطى على سكان الصحراء الفاصلة بين الشمال الإفريقي وبلاد السودان، وان كانت القبائل الصنهاجية في غرب الصحراء قد اشتهرت بتلك التسمية أكثر من غيرها حتى عرفت بها في معظم الكتابات العربية الوسيطة. ينظر: ولد الحسين الناني: صحراء الملتمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 8/هـ إلى نهاية القرن 11/هـم، تق محمد حجي، ص09.
- 8- نفسه: ص09.
- 9- أحمد رمضان شقليه وجمال شوقي: الصحراء الغربية دراسة جغرافية، مجلة الدارة، دار الملك عبد العزيز، السعودية، العدد 04، 1402 هـ، ص135.
- 10- محمد عمرون: تطور نزاع الصحراء الغربية من الانسحاب الإسباني إلى مخطط بيكر الثاني 1975/2005، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور بوقارة حسين، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2006م، ص16.
- 11- احمد رمضان شقليه وجمال شوقي: المرجع السابق، ص135.
- 12- Notes et Études Documentaires, Le Sahara Occidental Espagnol, Paris, 1950, p 03.
- 13- حسن سيد سليمان: مرجع سابق، ص51.
- 14- محمد عمرون: مرجع سابق، ص17.
- 15- Manuel Mulero Clemente: Los Territorios espanoles del Sahara y sus grupos Nomadas, El siglo, Las Palmas, 1945, p 80.
- 16- Pierre Bonte: La Politique coloniale Française et les Ahl Shaykh Ma al-cAynin. Jihad et résistances tribales, archivos, numéro 11, julio- diciembre 2011, p 02.
- 17- Manuel Mulero Clemente: Los Territorios espanoles del Sahara y sus grupos Nomadas, op. cit, pp 81-82.
- 18- Ibid: p 85.
- 19- Ibid: p 86.
- 20- الرياض: منطقة تقع شمال غرب مدينة السمارة بالساقية الحمراء، وفيها يوجد ضريح سيد أحمد العروسي.
- 21- Manuel Mulero Clemente: Los Territorios espanoles del Sahara y sus grupos Nomadas, op. cit, p 86.
- 22- Ibid: p 87.
- 23- Paul Marty: les Tribus de la Haute Mauritanie, Paris, 1915, p 37.
- 24- Manuel Mulero Clemente: Los Territorios espanoles del Sahara y sus grupos Nomadas, op. cit, p 88.
- 25- Ibid: p 88.

- 26- الحسن والوزان (ت1554م): وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط-بيروت، 1983، ج2، ص ص 53 56.
- 27- Paul Marty: les Tribus de la Haute Mauritanie, op. cit, p 10.
- 28- Manuel Mulero Clemente: Los Territorios espanoles del Sahara y sus grupos Nomadas, op. cit, p 88.
- 29- Ibid: p 89.
- 30- Ibid: p 89.
- 31- Ibid: p 89.
- 32- Ibid: pp 89-90.
- 33- Ibid: p 90.
- 34- Ibid: p 90.
- 35- Ibid: p 90.
- 36- Ibid: p 91.
- 37- لمعلمين: هي إحدى فئات المجتمع البيضاني، اشتهر أفرادها بممارسة الصناعات اليدوية التقليدية، وقد اختلف المؤرخون حول أصول هذه الفئة من المجتمع، لكن أغلب الكتابات الغربية قد أرجعتها إلى أصول يهودية. ينظر: صلاح الدين اركيبي: فئة لمعلمين في المجتمع القبلي البيضاني، عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد 19، المجلد 05، 2017، ص 02.
- 38- تعريكية: مصطلح باللغة الحسانية يعني الجمل أو الناقة.
- 39- خوليو كارو باروخا: دراسات صحراوية، تر: أحمد صابر، منشورات الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، المغرب، 2019، ص 601.
- 40- نفسه: ص 602.
- 41- الجماعة: هي هيئة تضم أعيان القبيلة مكلفون بتسيير شؤونها.
- 42- خوليو كارو باروخا: دراسات صحراوية، مصدر سابق: ص 602.
- 43- نفسه: ص 603.
- 44- نفسه: ص 603.
- 45- نفسه: ص 604.
- 46- آيت اربعين: هو عبارة عن مجلس تنفيذي مؤقت يضم أعيان من مختلف أفخاذ وبطون القبيلة يعقد اجتماعاته عادة فترة تعرض القبيلة لتهديد داخلي أو خارجي.
- 47- خوليو كارو باروخا: دراسات صحراوية، مصدر سابق، ص 605.
- 48- Manuel Mulero Clemente: Los Territorios espanoles del Sahara y sus grupos Nomadas, op. cit, p 97.
- 49- رجال بويريك: دراسات صحراوية، دار أبي رقرق، الرباط، ط2، 2008، ص 124.
- 50- Manuel Mulero Clemente: Los Territorios espanoles del Sahara y sus grupos Nomadas, op. cit, p97.
- 51- بويريك رجال: دراسات صحراوية، مرجع سابق، ص 123.
- 52- خوليو كارو باروخا: دراسات صحراوية، مصدر سابق، ص 604.
- 53- بويريك رجال: دراسات صحراوية، مرجع سابق، ص 124.
- 54- محمد سالم بن لحبيب بن الحسين بن ع بد الحي: جوامع المهمات في أمور الرقيبات، تح: مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1992، ص 76.
- 55- رجال بويريك: دراسات صحراوية، مرجع سابق، ص 125.